Islam Abdelhaq

بين الإسلام والمسيحية

كتاب أبي عبيدة الخزرجي

المتوفى سنة ٥٨٢ هجرية

حققه وقدم له وعلق عليه

الدكتور محمد شامة

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴾ .

(صدق الله العظيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة الطبعـــة الأولى

تتخذ مظاهر الصراع البشرى منذ بدء الخليقة أسلوبين :

ـــ صراع فكرى ،

ـــ وآخر يغلب عليه الطابع العضلى .

وما يعرف الآن فى ميدان القتال بحرب التكنولوجيا ، فلا زالت العضلات تلعب فيه دورا رئيسيا .

ولا يخلو عصر من الصراع الفكرى ، فاختلاف الآراء ـــ وهو نـــوع منه ـــ علامة على حيوية المجتمع ، ومقدمة حتمية لتطوره ، اذا أراد كـــل طرف الوصول الى الحق حيثما كان .

أما التقليد ـــ وكذلك حمل الناس على أن يعتقدوا بقدسية رأى بشرى، عن طريق كبت المعارضة بقوة الحديد والنار ـــ فهو نذير بانهيار المجتمع ، لأنه يقضى على البراعم الفكرية فيه ، ويوقف قلبه النابض بالحياة .

وغالبا ما ينحو الصراع الأيديولوجى بين الطوائف ـــ وبين الشعوب ـــ المختلفة فى عقائدها ، ومذاهبها الدينية والسياسية ، منحى التعصب للمبدأ ، فيلجأ المفكرون الى ما يدعم رأيهم ، وان كان منافيا للمسلمات الأولية ، وحينئذ يشتد الجدل ، وتكثر المحاورات التى قد تؤدى الى صدام مسلح .

وعندما تضع الحرب أوزارها ، يتجه الحوار وجهة أخرى ، اذ يتساءل المهزوم عن أسباب هزيمته :

هل يرجع ذلك الى ضعف أيديولوجيته عن الصمود أمام العدو ؟

بل يتسرب الشك فى صحة العقيدة الى ضعاف النفوس ، والمترددين فى قبولهـــا .

بينما ينشط المنتصر ـــ فى ظل صدى الانتصار ـــ ليكسب أتباعا عن طريق القاء الشبه أمام العامة ، الذين لا يدركون أن أسباب النصر ـــ أو الهزيمة ـــ لا ترجع كلها الى طبيعة الأيديولوجية من حيث هى ، بل تدخـــل فيها عوامل أخرى ، لا يستطيع رؤيتها الا الخاصة .

وللتدليل على هذا يكفى المرء أن يتصفح تاريخ البشرية ، فسيجد أمثلة لا حصر لها ، من بينها ماوقع فى « طليطلة » ، فقد احتفظت تلك المدينة القوطية القديمة بين أسوارها بالجم الغفير من أبنائها المسيحيين ، الذين لم يخبلوا الاذعان ، والخضوع للحكم الأموى ، الا بعد وقت طويل . ولم يكن هذا الاذعان الا ظاهريا فقط ، اذ عندما سقطت فى أيدى « الفونس » السادس ، ملك « قشتالة » ، ارتدت الى النصرانية ، حظيرتها القديمة . وأعقب ذلك صراع فكرى ، بين المسيحيين ، ومن بقى فيها من المسلمين ، واتخذ ذلك صورة حوار حول المقارنة ، بين مبادىء العقيدتين : المسيحية والاسلام .

والكتاب الذى نقدم له ، هو احدى مظاهر هذا الصراع ، وقع اختيارنا عليه لأنه يتناول مسائل ذات أهمية كبرى ، لمن يهتمون بدراسة علم مقارنة الأديان . وليس أمامنا الآن سوى مخطوطة واحدة ، عثرنا عليها مصورة فى مكتبة الجامعة العربية وهى تحت رقم ٢٢٥ توحيد . والنسخة الأصلية فى مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ١٨٦٣ .

ونظرا لضيق الوقت ، رأينا أن نخرج الكتاب ، معتمدين على هذه النسخة فقط ، آملين أن يهدينا البحث — بتوفيق الله — الى العثور على نسخ أخرى ، نرجع اليها — ان شاء الله — فى الطبعة الثانية ، التى سنضمنها أيضا نبذة عن الاسلام فى الأندلس ، ودراسة لحياة مؤلف الكتاب .

وقد آثرنا فى تخريج فقرات الكتاب المقدس ، أن نثبتها كاملة ، حتى لا يضطر القارىء الى الكشف عليها ، لأن فى ذلك مشقة عليه . وكذلك الأمر فى الآيات القرآنية ، التى أشار اليها النص ، أما التى ذكرت كاملة فيه ، فقد اكتفينا بتخريجها فقط .

ونحن اذ نقدم الكتاب ، فى صورته الراهنة ، لطلبة جامة الأزهر ، ندعو الله أن يوفقنا الى المزيد من دراسة المواضيع ، التى اشتمل عليها فى الطبعة الثانية .

أنه سميع مجيب .

محمد عبد الغنى نسامة

القاهرة فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٧٢

* * *

مقدمة الطبعة الثانية

(١)

اشتبك المسلمون مع المسيحيين فى معارك كثيرة ، ومن أهم المناطق التى التحم فيها الصراع عسكريا ، وفكريا ،(١) أسبانيا التى أطلق عليها المسلمون « الأندلس » (٢) .

---

(١) والكتاب الذى نقدم له يبين لنا احدى ظواهر الصراع الفكرى ، ولكى نلقى ضوءا على الظروف والملابسات التى أحاطت — وسبقت فى الزمن — المؤلف ، رأينا أن نعرض هنا موجزا لتاريخ الدولة الاسلامية فى أسبانيا ، ليستحضر القارىء فى ذهنه — أثناء قراءة هذا الكتاب — صورة الصراع السياسى الذى ابتلى به المسلمون منذ الفتح فى عام ٩٢ هـ (٧١١ م) حتى طردوا من أسبانيا نهائيا فى عام ٨٩٧هـ (١٤٩٢م) وليس الغرض تقديم صورة كاملة للاحداث ، لأن هذا فى كتب التاريخ ، بل عرض الخطوط العريضة لها ، مع بيان أهم الأسباب التى أدت الى انهيار الدولة الاسلامية فى تلك البقاع ، ومن أراد تفصيلا فليرجع الى المراجع التاريخية .

(٢) يطلق المؤرخون والجغرافيون العرب كلمة « الأندلس » على شبه جزيرة « ايبيريا » المكونة من أسبانيا والبرتغال (ياقوت فى معجم البلدان تحت كلمة الأندلس . والروض المعطار ص ١) . وتطلق فى الرواية العربية أيضا على أسبانيا المسلمة ، التى كانت عقب الفتح تشمل كل أسبانيا ما عدا « جليقة » ، وولايات جبال « البرنية » . ولكن « الأندلس » تطلق فى العصور المتأخرة ، وفى الجغرافيا الحديثة على ولايات الأندلس الواقعة فى جنوب أسبانيا ، بين نهر الوادى الكبير والبحر وبين ولاية « مرسية » و « أشبيلية » ، وما زالت « الأندلس » (Andalucia) تحتل فى تقسيم أسبانيا الادارى الحاضر نفس هذه المنطقة . والرواية العربية تعلل هذه التسمية بصور مختلفة ، فتقول مثلا أنها سميت أندلس باسم أول من سكنها من قديم الزمان ، وهم قوم من الأعاجم يقال لهم أندلوس (نفح الطيب جـ ١ ص ٦٧) . ويقول ابن الأثير : ان النصارى يسمون الأندلس « اشبانة » باسم « اشبانس » أحد ملوكها ، وهذا هو اسمها عند « بطليموس » (جـ ٤ ص ١٢١) . ولكن ابن خلدون يقدم لنا تعليقا أدق فيقول انها سميت « الأندلس » باسم « قندلس » =

عبرت الجيوش الاسلامية المضيق الغربى للبحر الأبيض المتوسط — المعروف اليوم بمضيق جبل طارق — (١) ولم يكن الدافع الأول للمسلمين الرغبة فى التوسع الاستعمارى ، بل كان ذلك تلبية لنداء وجهه سكان البلاد الأصليين الى المسلمين ليخلصوهم من نير القوط(٢) ، فقد كان المجتمع

=

ولعلها « فندلس » ومن الواضح انه يقصد « الفندال » أى « الوندال » (ج ٢ ص ٢٣٥ فى تاريخ القوط) . ويقدم لنا البكرى خلاصة دقيقة لهذه المسميات الجغرافية التاريخية فيقول فى وصفه لجزيرة الأندلس : ان اسمها القديم « اباريه » (Iberia) من وادى « ابرة » ، ثم سميت بعد ذلك « باطقة » (Baetica) من وادى بيطسى وهو نهر قرطبة . ثم سميت « اشبانية » من اسم رجل ملكها فى القديم كان اسمه « اشبان » . وقيل سميت باسم « الأشبان » الذين سكنوها فى أول الزمان على جرية النهر وما والاه . وقال قوم : ان اسمها فى الحقيقة « اشبارية » (Hisperia) من « اشبرس » وهو الكوكب المعروف بالأحمر . وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء « الأندليس » من الذين سكنوها « والأندلس » هم « الوندال » (Vandals) وهذا هو التعليل الذى يأخذ به « دانفيل » (Danville) ، اذ يقول : ان الاشتقاق مأخوذ من كلمة « فاندالوسيا » (Vandalusia) أو بلد « الوندال » ، (نقله « جيبون » عن كتاب ممالك أوروبا فى هامش الفصل الحادى والخمسين) . وهذا ما يقرره الفزيرى أيضا فى معجم مخطوطات الاسكوريال (Biblu. Arabico-Hispana Esenrialensis II p. 237 Casiri) من عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، هامش ص ٥٠

(١) نسبة الى طارق بن زياد الليثى الذى اختاره موسى بن نصير — وهو والى أفريقيا يومئذ — لقيادة جيش الفتح ، ذلك الجندى العظيم الذى ضرب المثل فى الشجاعة ، والاقدام . أجمع المؤرخون على وصفه بـ « فاتح الأندلس » ، غير أنهم اختلفوا فى أصله ونسبته ، فقيل هو فارسى من همدان ، كان مولى لموسى بن نصير ، وقيل انه من سبى البربر ، وقيل أخيرا بربرى من بطن من بطون نفزه ،وهذه فيما يظن أرجح رواية ، ويبدو منها أن طارقا تلقى الاسلام عن أبيه زياد عن جده عبد الله ، وهو أول اسم عربى اسلامى فى نسبته ، ثم ينحدر مساق النسبة بعد ذلك خلال أسماء بربرية محضة حتى ينتهى الى نفزة ، وهى القبيلة التى ينتمى اليها .

(٢) هم احدى القبائل أو الشعوب البربرية التى هبطت من شمال

=

=

أوروبا ، وقوضت صروح الامبراطورية الرومانية ، وتقول الأساطير القديمة انهم نزحوا من « اسكندناوة » بعد أن تحرروا من « الجوتارة » فى جنوب السويد ، ويذكر المؤرخ « تاسيتوس » أنهم كانوا منذ ظهور النصرانية الى أواخر القرن الثانى يسكنون شواطىء البلطيق الجنوبية . وفى عهد الامبراطور « اسكندر سيقوروس » (٢٢٢ — ٢٣٥ م) ظهرت طلائع « القوط » فى ولاية « داسيا » (وتشغل مكانها الآن رومانيا والمجر) الرومانية وأغارت على بعض مدنها ، وكان هذا نزوحهم الثانى حيث استقروا عندئذ فى اقليم « اليوكرين » وفى عهد الامبراطور « ديسيوس » عبروا نهر الدانوب ، وخربوا ولاية « ميزيا » الرومانية (وتشغل مكان بلغاريا الحديثة) ثم تقدموا الى قلب البلقان ، فسار « ديسيوس » لقتالهم ، ولكنه هزم ومزق جيشه (٢٥٠م)، وسار « القوط » الى اليونان فعاثوا فيها وخربوها ، ولم ينقطع عبثهم حتى نشط الامبراطور « قسطنطين » الكبير لقتالهم ورد عدوانهم ، فحاربهم فى عدة مواقع ، وهزمهم هزيمة شديدة ، وردهم الى أقاصى « داسيا » (سنة ٣٢٢م) وفرض عليهم شروطا فادحة . ثم حاربهم الامبراطور « فالنس » قيصر قسطنطينية وهزمهم فى سنة ٣٦٩م وفى سنة ٣٧٥م زحف « الهون » من المشرق على « القوط » ومزقوهم ، فانقسموا الى قسمين ، قوط شرقيون أذعنوا للهون وانخرطوا فى جيشهم ، وقوط غربيون فروا تحت ضغط « الهون » الى ضفاف الدانوب ، واستغاثوا بالامبراطور ، وطلبوا الدخول فى طاعته فأجابهم الى ذلك . واستقروا حينا فى ولاية « تراقية » ، ولكنهم ثاروا مرارا من جراء قسوة الحكام الرومانيين وعسفهم . وفى عهد الامبراطور « هونوريوس » قام « القوط » بثورة أعظم وأبعد أثرا بقيادة زعيمهم « الاريك » وخربوا « تراقية » واليونان ، ثم عبروا الى ايطاليا وافتتحوا روما ونهبوها (٤١٠ م) . ولكن زعيمهم « الاريك » توفى فى نفس هذا العام فارتدوا الى الشمال . ثم عقدوا الصلح مع الامبراطور واندمجوا فى الجيش الامبراطورى، وقاموا بقمع الثورات فى « غاليا » أو « غاليس » (جنوب فرنسا) وشمالى أسبانيا ، ثم استقروا فى أواسط فرنسا وجنوبها ، فيما بين نهرى اللوار والجارون ، واتخذوا « تولوز » (تولوشة) عاصمة لهم . وأقطع الامبراطور ملكهم « فاليا » حكم هذا القطر ، وقامت بذلك مملكة قوطية تابعة للدولة الرومانية .

وعاون « القوط » الدولة على محاربة « الوندال » و « الآلان » و « السوابيين » ، وعاونها بالأخص ملكهم « تيودريك » الأول ، ولد

=